ورقة عمل مقدمة لورشة العمل الموسومة (الشريعة والعشيرة) في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٢٢/٢/٢٢م

بعنوان ((نماذج من السيرة النبوية لمواجهة التعصب القبلي))

إعداد :أ.م. د. أسماء ضياء الدين أحمد

تعريف العصبية القبلية : إنّها إحدى المصطلحات التي تُذكر بكثرة في كلّ وقت، فالعصبية القبلية هي التحيّز لقبيلة أو لعشيرة ما بشكلٍ مبالغ فيه وإظهار العداوة للآخرين لمجرّد أنّهم لا ينتمون لها، والعصبية القبلية من الأمور المذمومة التي نهى عنها الإسلام، ونبذها الرسول -عليه الصلاة والسلام- ونهى أصحابه عنها، لأنّها في كثيرٍ من الأحيان تنصر الباطل على الحق، ويُصبح فيها الغلبة للقويّ على الضعيف، لأنّ الرجل المتمسك فيها يميل إلى نصرة قبيلته سواء كانت على حقٍ أم على باطل، وسواء كانوا أبناء قبيلته ظالمين أم مظلومين

العصبية القبلية وخطرها على المجتمع :

تُعدّ العصبية القبلية من رواسب الجاهلية التي لم يزل بعض الناس يتمسكون بها دون أن يُدركوا أن العصبية القبلية وخطرها على المجتمع من أكثر الأمور المؤرقة والتي يجب التنبّه لها كي لا تُصبح ظاهرة متفشية، خصوصًا أنّ الكثير من الناس يُربون أبناءهم عليها دون أن يشعروا، ويُغذون توجهاتهم القبلية بشكلٍ لافت دون وعيٍ منهم بخطورة هذا الأمر.

أبرز ما يمكن أن تسببه العصبية القبلية وخطرها على المجتمع:

١/ تُسبب النعرات والفتنة بين أفراد المجتمع، وتُسبب حدوث الكثير من المشكلات التي يستجيب إليها ضعاف العقول وأصحاب الفكر المنغلق.

٢/ تدعو إلى الثأر بين القبائل والعشائر، ويُمكن أن تسبب وقوع الجرائم التي يشترك بها أفراد عشيرة بأكملها كي يثأروا لأي شيءٍ يمسّ أبناء عشيرتهم، وهذا سببٌ لوقوع المصائب بشكلٍ متفشٍ.

٣/ تُضعف شوكة المجتمع وتُسهم في تفككه، كما تُضعف شوكة القبائل الصغيرة وتُغذي سطوة القبائل الكبيرة دون وجه حق، مما يُسبب فجوة في المجتمع، وشعور بالدونية لدى الكثير من الناس.

٤/تُسبب تشوّه الفكر المجتمعي ونبذ الأخلاق، لأنّ العصبية القبلية مناقضة لها.

٥/تُؤدي إلى الفُرقة والتناحر بين أفراد المجتمع واستباحة الدماء بينهم، كما تُفرّق الكلمة والقلوب.

أسباب العصبية القبلية :

العصبية القبلية وخطرها على المجتمع من الأمور المؤرقة والتي يُفترض معرفة أسبابها لمحاربتها والتخلّي عنها، خصوصًا أنّ العصبية القبلية مناقضة للدين والأخلاق، فهي سبب من أسباب انتشار الفتنة بين الناس، أما أهم الأسباب التي تُؤدي إلى العصبية القبلية وتُغذيها ما يأتي:
١/ البعد عن الدين وضعف الوازع الديني الذي يجعل الناس ينتمون إلى شيء آخر غير الدين ويُفاضلون بعضهم بعضًا على أساس الأنساب.

٢/وجود الجهل والتخلف بين الناس، وعدم وعيهم بمدى خطورة العصبية القبلية على الأفراد والمجتمعات.

٣/ التربية غير السليمة للأبناء، وزرع التعصب للقبيلة في عقولهم وتغذيتها بالأقوال والأفعال من قبل الآباء والأمهات.

٤/غياب القدوة الحسنة في القبائل والعائلات، ووجود أشخاص يُحرضون على العصبية.
٥/الصراع على المناصب المختلفة بين أبناء القبائل، والنظر إلى الوظائف بصفة قبلية شخصية بعيدًا عن الكفاءة والتقدير والمهارة.

٥/ انغلاق المجتمع القبلي على ذاته وعدم الانفتاح.

نماذج في السنة النبوية لمواجهة التعصب القبلي

والسنّة النبوية مليئة بالتحذير والتنفير منالفخر والمفاخرة والتعصب القبلي ومن ذلك ما رواه مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قال: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتىلا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد علىأحد) ، وروى أبوداود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس منامن دعا إلى عصبية وليس منا من قاتلعصبية وليس منا من مات على عصبية).والعصبية أو التعصب هو المحاماةوالمدافعة عن الباطل، أو استعمال الأساليب غير المشروعة في الدفاع، وسبب النهي عن الفخر والعصبية ظاهر، فهماخلقان ذميمان يخرجان الإنسان من دائرة

العقل والاتزان إلى دوائر الغرائزالمنفلتة، ولذا فإن الإنسان قد يتصرف بلاعقل ولا تعقل فتنعدم معايير الحق والعدل حينئذ، وهما خلقان يجران إلى الكذبوالتدليس، فضلاً عن المبالغة والتهويل أوالتهوين، وآثارهما بالغة الخطورة، فقد يترتب عليهما السباب والتلاعن، والتباغض

والتهاجر، بل الحراب والقتال وفي عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وقعت مفاخرة بين المهاجرين والأنصار كادت تسبب بينهما حرباً، لولا أنه عليه الصلاة والسلام نزع فتيلها بالحال، فقد كسع رجلمن المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري : ياللمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله - صلىالله عليه وسلم - فقال: مابال دعوى أهلالجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بذلك،فقال عليه الصلاة والسلام: دعوها فإنها خبيثة »

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:(ثلاث من فعل الجاهلية لا يدعهن أهلالإسلام: استسقاء بالكواكب، وطعن فيالنسب، والنياحة على الميت).
وفي رواية أحمد بن حنبل رحمه الله: (ثلاث من عملالجاهلية لا يتركهن أهل الإسلام النياحة

على الميت، والاستسقاء بالأنواء، وكذا، قلت لسعيد وما هو؟ قال دعوى الجاهلية يا آل فلان يا آل فلان يا آل فلان) .

إذًا فالتعصب القبلي - كغيره من الخصال الثلاث - لا يزال باقيًا في أمة الإسلام كما أخبر بذلك نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولكن بقاءه لايعني أنه أصبح أمرًا مقبولًا أو واقعًا محتومًا يعذر المسلم إذاما سايره أو انخرط فيه، فليس هذا هوالمعنى المقصود من الأحاديث بل المقصود

هو تحذير الأمة من اتّباع عادات الجاهلية والانسياق خلف دعاواها الباطلة. ومع هذا

التحذير النبوي الشريف نرى كثيراً من الناس متأثرين بالعصبية القبلية حتىأصبحت حديث سامرهم وشغل شاعرهم نسال الله العافية .